الفصل الثالث

مديح العلماء والأدباء

امتدح الشعراء شعرهم بكثير من العجب والتيه ، فصوّروه دائراً على الأيام يتنقل على كل لسان ويجلجل فى كل مكان ، وظنوا أن شعرهم وحده جدير بالتقدير تنبثق منه معانى غيرهم من الشعراء ، فهم الصوت والآخرون الصدى كما قال المتنبي ، ولم يتخلف واحد منهم عن الإدلال بشعره ؛ ولعلهم بذلك يذكرون الممدوح بعلو قدرهم على الأقدار ورفعة شعرهم على الأشعار ، فلن يقول فيه قائل أكثر مما قالوا ولن يبدع فيه أجمل مما أبدعوا ، فالنفيس يهدى إلى النفيس كما قال أبو فراس . ومن الطريف أن نعرض لأقوالهم وأن نوازن بين مدائحهم لأنفسهم ، ولكن ذلك أدخل فى باب « الفخر » ، ولهذا الفن الأدبى كتاب فى هذه المجموعة يتطرق إليه ويتناوله بالعرض والتحليل .

ونحن هنا إنما نستعرض ما قاله الشعراء فى غيرهم من الأدباء والكتاب والشعراء ، لنقف على مبلغ إعجابهم بالعلم والأدب وصناعة الكتابة وفضل القريض ، على اختلاف العصور ؛ فقد كانوا يجدون فيمن يمدحون صفوة الأمة وخلاصة المفكرين فيها ، يثنون على قوة البيان وعذوبة اللسان ويقظة الجنان ، وروعة القلم وحسن الكتابة .

فقد مدح بشار واصل بن عطاء [1] وأكثر فيه ، قبل أن يدين الشاعر بالرجعة ففضله على غيره من العلماء ، حين سمع خطبة من خطبه فقال :

أبا حُذَيْفَةَ قد أوتيت معجبة ... فى خطبة بَدَهَتْ من غَيْر تَقْدِير

---

(١) أبو حذيفة واصل بن عطاء الغزال ، المتوفى سنة ١٨١ ، كان من الأئمة البلغاء المتكلمين ، وكان يلثغ بالراء لكنه فى خطبه يتخلص منها ببراعته — انظر ابن خلكان .